مكتبتي ٦

الفراشة رفرف

بقلم : لينا كيلاني
رسوم : منال بدران

الطبعة الثانية

دار المعارف

obeikandl.com

تصميم الغلاف : محمد أبو طالب

الناشر: دار المعارف ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة - ج . م . ع .
هاتف: ٥٧٧٧٠٧٧ - فاكس: ٥٧٤٤٩٩٩ Email: maaref@idsc.net.eg

إعداد الماكيت : أمانى والى

obeikandl.com

رفرف فى البستان

كانت هناك فراشة جميلة تسكن البرارى والحقول، وتنتقل من عشبة إلى عشبة، ومن زهرة إلى زهرة، ترفرف بجناحيها الملونين وتطير نحو الشمس الذهبية ثم تحط لاهثة متعبة.

وهكذا حتى ينتهى النهار فتضم جناحيها وتختبئ مع غيرها من الفراشات وراء جذوع الأشجار، أو بين الأحجار والصخور. وما إن تلوح خيوط الفجر حتى تستيقظ لتبدأ رحلتها من جديد. وأثناء ذلك تنتقى ما يلذ لها من طعام فتلتهمه بسرعة، وما يعجبها من شراب فتمتصه وهى تخفق من الفرح، ولا تلبث أن تطير.. إنها تحب أن تطير كثيراً.. وأن تشعر بحركة جناحيها دائماً.

وذات صباح ربيعى مشرق حلقت عالياً فرأت لأول مرة عن بُعد بستاناً فيه الأشجار، والثمار، والسواقى التى تتلألأ تحت نور الشمس، فقالت فى نفسها:

– ما أجمل هذا المنظر! لابد أنه البستان الذى تحدثت عنه زميلاتى الفراشات البيضاء قوية الجناحين.. لماذا لا أغامر بالذهاب إليه؟ إن عمرنا نحن الفراشات قصير.. وما علينا إلا أن نملأَهُ بالسعادة والسرور حتى ولو تقصفت أجنحتنا أو احترقت، فعمر المخلوق لا يُحْسَبُ بالزمن الذى يعيشه، بل بما يحققه من آمال أثناء حياته.

وطارت «رفرف» بما تملك من حماس ورغبة، وهى تستمد قوتها من ضياء الشمس ومن تيارات الهواء. ولما وصلت إلى البستان وقفت فوق شجرة ورد حمراء قُرْبَ ساقية صغيرة. ارتعشت الوردة عندما لامستها تلك المخلوقة اللطيفة الملونة، إذ قليلاً ما تجازف ذوات الأجنحة بالوقوف على أشجار الورد خوفاً من أشواكها.

قالت الوردة:

– أنتِ جميلة أيتها الفراشة بألوانك الزاهية.. ورائعة زيارتك المفاجئة لى!

قالت الفراشة:

– وأنتِ أيضاً جميلة ورائعة!! وأنا محظوظة لأننى توقفتُ عندك فقد كنت متعبةً جداً.

سألت الوردة:

– وهل هذه هى المرة الأولى التى تأتين فيها إلى البستان؟

أجابت الفراشة:

– نعم.. نعم.. وأنا مبهورة بكل هذا الجمال من حولى!

ضحكت الوردة وقالت:

– سوف نكون صديقتين إذن.. وسأدلك على مخبأ أمين ونظيف بين أغصان شجرتى تنامين فيه، وأثناء النهار نتحادث، وأعرفك بما فى البستان، حتى إذا تنزهتِ فيه كُنْتِ عالمةً بكل شىء، وسوف تُسَرِّين كثيراً هنا، وخاصة أيام النزهات.

سألت الفراشة:

– وما هى النزهات؟

أجابت الوردة:

– عندما يأتى الناس فى أيام العطلات والأعياد ونهايات الأسبوع ليستجمُّوا بين أحضان الطبيعة، ويستمتعوا بهوائها النقى، وهدوئها، وجمالها، فهذه هى النزهات.. وهم يأتون عادة بأعداد كثيرة، فيأكلون ويشربون، ويمرحون ويلعبون. وما أجمل منظر أطفالهم وهم فرحون بكل ما حولهم، حتى كأنهم جزء من الطبيعة!

خفقت «رفرف» بأجنحتها طرباً وقالت:

– وهل هذا يوم النزهة؟

أدارت الوردة عنقها نحو آخر البستان وقالت:

– أظن ذلك، فهناك مجموعات من الأطفال يغنون وهم يدخلون البستان.

ولما كانت رحلة مدرسية لمجموعة من الصغار من بنات وصبيان، فقد اقتربت الفراشة منهم، وظلت تحوم حولهم لتجذب انتباهم بألوانها الجميلة، حتى حاول بعضهم الإمساك بها، فكانت تفر هاربة وبسرعة.

قالت «دانا» وهى – إحدى البنات – لرفاقها:

– لماذا تريدون أن تقبضوا على هذه الفراشة الجميلة؟ اتركوها حرة تتنزه كما تريد.. ألا يكفى أنكم تستمتعون بمشاهدتها؟

وسُرت الفراشة بما سمعته من «دانا»، فاقتربت منها حتى لامَستْ شعرها وهمست لها:

– أنتِ بنت طيبة، وأنا أريد أن أصبح صديقتك.

قالت «دانا»:

– ما اسمك أيتها الفراشة؟.

ولم تعرف الفراشة بم تجيب، ولاحظت دانا ارتباك الفراشة فقالت لها:

– سأسميك «رفرف».. ما رأيك فى هذا الاسم؟ أرجو أن نتقابل دائماً فأنا آتى مع أسرتى للنزهة فى هذا البستان.

رفرفت الفراشة مسرورة وهى تقول:

– «رفرف».. أنا رفرف.. أنا الفراشة «رفرف»!!

* * *

رفرف تكتشف جمالها

كانت رفرف سعيدة فى البستان وهى تجد فيه أنواعاً بديعة من الورود والرياحين، والطيور والعصافير، وأيضاً الحشرات، والجنادب، والنحل، والنمل. أصبح لها أصدقاء كثيرون، لكن صداقتها الوحيدة مع البشر كانت مع دانا البنت الصغيرة اللطيفة، التى كانت تأتى إلى البستان خصيصا لتلهو مع رفرف وكأنما هى تمارس لعبة الريشة الطائرة.

وذات مرة والأطفال كثيرون فى البستان ارتمت «دانا» على العشب لاهثة من الجرى، فاقتربت منها «رفرف» وسألتها وهى قلقة:

– هل أنتِ مريضة يا صديقتى أم أصابك مكروه؟

وبينما هى تلامس شعرها ووجهها إذْ هجم عليها بعض الأولاد يريدون أن يمسكوا بها، ففرت منهم هاربة. وعند ذلك نصبوا لها كميناً، فحاصروها من عدة جهات، وأوشكت أن تقع فى الشبكة لولا أن أسرعت «دانا» فحالت دون ذلك.

سألت «رفرف» «دانا»:

– لماذا يطاردوننى أنا بالذات من بين كل الفراشات؟ إن البستان مملوء بها!

ضحكت «دانا» وقالت:

– ذلك لأنك أجمل منها جميعاً يا «رفرف».. إن ألوانك متعددة وبديعة، ويندر أن تجتمع فى فراشة واحدة حتى كأنك رسمت بريشة فنان.

جمدت «رفرف» عن الحركة مندهشة. وما إن ودعت صديقتها «دانا» حتى أخذت تفكر: كيف تستطيع أن ترى هذا الجمال؟. وفى أثناء جولتها فى البستان وقفت قُرب الساقية فوق أعواد القصب التى تنمو فى الماء، فلمحت صورة فراشة فوق صفحة الماء تتحرك كلما تحركت، وبينما هى حائرة إذ دخل الهواء بين القصب، فقالت إحدى القصبات:

– لماذا أنت حائرة أيتها الفراشة؟ هذه صورتك مرسومة فوق الماء. إنك جميلة

جداً، ولكن إياكِ أن تغترى بهذا الجمال فهو سريع الزوال، ويجرى بسرعة مثل هذا الماء.

لكن «رفرف» لشدة فرحتها بجمالها لم تدرك النصيحة، بل طارت محلقة نحو ضياء الشمس وهى تقول:

– إذا كان أى نبات أو زهرة يزهو بلون واحد فأنا أملك الألوان جميعاً.. لابد لى بعد أن اكتشفت جمالى من أن أنطلق إلى عالم أهم وأعظم من هذا البستان.. وبما أنه لا يوجد أهم ولا أعظم فى الطبيعة من البشر، فإنَّ علىَّ أن أطير إلى حيث هم فى بيوتهم وحدائقهم.

ولن ينافسنى هناك أحد من جماعة البستان.. سأكون متعة للناظرين. وسأشوق أطفالهم دون أن يستطيعوا القبض علىَّ. سأسافرُ.. وأغامر، وسأرى ما لم تره فراشة من فراشات الحقول قبلى.

واندفعت «رفرف» بنشوة إحساسها بجمالها تطير وتطير.. دون أن تحسب حساباً للنهاية أو المصير.

* * *

رفرف تغار من الصور الملونة

وصلت «رفرف» إلى إحدى المُدُن بعد رحلة طويلة شاقة، وقد أخذ منها التعب حتى كأنَّ جناحيها يتكسران. حطت الفراشة على أحَدِ الأسطح، فرأته رمادياً كئيباً، ومملوءاً بغبار الأسمنت والدخان، فتذكرت ندى الحقول، ونضرة البستان وجماله، وما فيه من روائح منعشة، فتمنت لو تعود إليه، لكنها بدأت هذه المغامرة بإرادتها وعليها أن تستمر فيها. سمعت حفيفاً ووشوشات، وما يشبه طنين النحل، فبحثت عن مصدر الأصوات، فرأت شبكة من الأسلاك تنتهى فى غرفة أحد البيوت وكانت تتصل بصندوق مضىء يبرق بالأشكال والألوان. تسللت رفرف بهدوء دون أن ينتبه إليها أحد من الموجودين فى الغرفة، وتسمرت قريباً من الصندوق. ولما كان الصندوق جهازاً للتلفزيون، وعلى شاشته كان يظهر فيلم عن الفراش وأنواعه، وأشكاله، فقد سُحِرَتْ الفراشة بما رأت، وأدركت أنها ليست إلاّ واحدة مما لا يُحْصَى من الفراش الجميل الملون.

تأملت «رفرف» الموجودين فى الغرفة، فاختارت من بينهم طفلة جميلة، واقتربت منها بلطف، وقالت لها:

– وأنت، هل تحبين الفراشات؟

فوجئت البنت بفراشة ملونة بديعة تقف على كتفها وتخاطبها بمحبة وألفة. فقالت الطفلة:

– نعم.. أنا أحب الفراشات، ولكن من أين أتيتِ أنتِ؟ إنك تُشبهين هذه الفراشات فى فيلم التلفزيون.. لعلك هربتِ من بينها.

ثم ضحكت، وهى تعرف تماماً أن هذا مزاح، وأنه لا يمكن لأى فراشة أن تخرج من التلفزيون.

قالت «رفرف»:

– أنا الفراشة «رفرف».. وقد أطلقت على هذا الاسم بنت صغيرة جميلة مثلك اسمها «دانا» عندما كنت فى البستان. وأنا الآن أزور هذه المدينة لأول

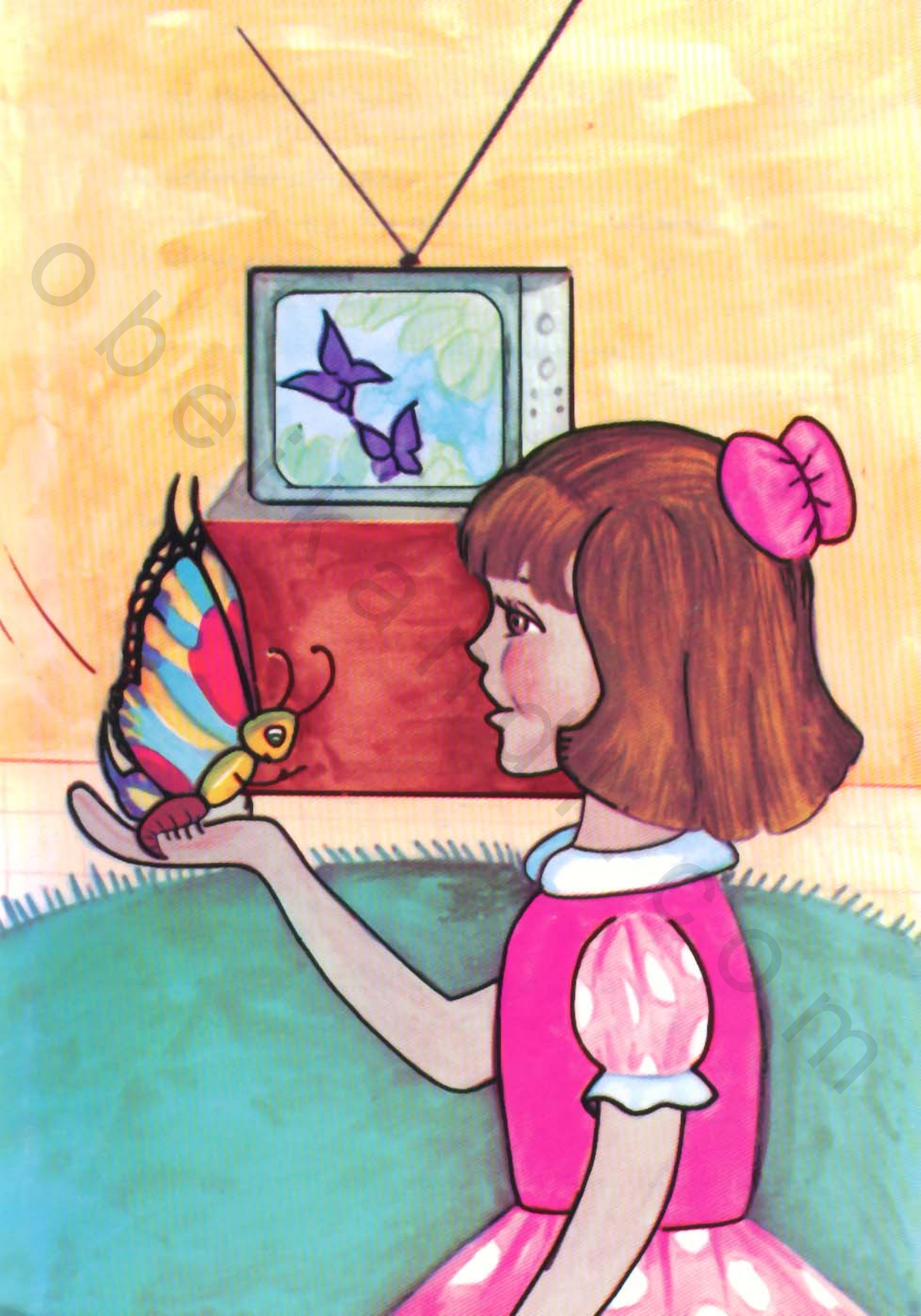

مرة، وقد جئتُ وحدى، ولا أعرف أحداً من كل هذا الفراش الذى يمتلئ بـه هذا الصندوق، وأشارت إلى التلفزيون.

ضحكت البنت أكثر وقالت:

– ما هذه إلاّ صور – أقصد فيلماً مصـوراً – أمـاً أنـتِ فـأجملُ منـها، لأنـك فراشة حية وحقيقية.

هزت «رفرف» أجنحتها وقالت:

– ومع هذا فأنا لن أبقَى معكِ حتى تطرديهم جميعاً.

قالت البنت:

– أنتِ إذَنْ تغارين منهم.. حسناً.. سأفعل.

ثم قامت وأغلقت جهاز التلفزيون.. عند ذلك وقفت رفرف على يدهـا وهـى تخفق بأجنحتها مسرورة.

* * *

رفرف تحرق جناحيها

أمضت «رفرف» وقتاً ممتعاً مع البنت الصغيرة اللطيفة، فقد كانت ترفرف حولها وهى تتناول عشاءها، وقد دعتها لمشاركتها فيه، ثم ما لبثت أن أخذت تهيئ ثيابها وحوائجها لليوم التالى، وبعد ذلك ارتدت ثياب نومها قبل أن تراجع دروسها.

ولما جلست إلى طاولتها، وفتحت دفاترها وكتبها وقفت «رفرف» فوق صفحة بيضاء فبدت مثل صورة ملونة مرسومة. قالت «رفرف»:

– أنا أحببتُكِ جداً أيتها الفتاة، لأنك تذكرينني بصديقتى التى تشبهك.

سألت الفتاة:

– وما اسم صديقتك هذه؟

أجابت «رفرف»:

– ألم أقل لَكِ إنَّ اسمها «دانا»، وقد تعرفت إليها فى بستان النزهات، وكانت تأتى خصيصاً لترانى.. وبسببها هجرتُ البستان وغامرتُ بالمجىء إلى هنا.

ثم أطرقت برأسها وتوقف جناحاها عن الخفقان، وبدت حزينة جداً.

قالت البنت الصغيرة:

– أنت تريدينها إذن.. حسناً.. إن لى رفيقة اسمها «دانا»، وإذا كانت هى صديقتك سآخذكِ غداً إليها وأتركك عندها.. لابد أنها هى، لأن دانا رفيقتى تحب البستان والنزهات كثيراً.

قالت البنت الصغيرة هذا، ثم أشعلت مصباح المكتب وبدأت بهمة ونشاط تراجع دروسها، فى حين كانت «رفرف» تقفز حولها بحركات سريعة، وتطير هنا وهناك.

قالت البنت:

– أإلى هذا الحد أنتِ سعيدة؟ وأنا أيضاً سعيدة، لأننى أدخلتُ السعادة إلى

قلبك. علينا ألاَّ نحب أنفسنا فقط، بل نحب الآخرين أيضاً ونسعدهم. هذا ما تقوله لنا المعلمة دائماً.. اهْدَئِي الآن، ونامي، لأن الساعة اقتربت من الثامنة، وغداً هو موعدنا.

لكن «رفرف» لم تهدأ ولم تنم، فقد كانت مبهورة بضياء المصباح أمامها تحوم حوله وتفرد جناحيها حتى تكاد تلامسه، ثم تبتعد عنه بحركات دائرية وكأنها ترقص.

قالت البنت:

– ما هذا أيتها الفراشة؟ أنتِ تقتربين جداً من المصباح ويمكن أن تحرقي جناحيك.. ألم تشعري بسخونته؟

وبينما كانت تتابع بعينيها تحركات «رفرف» كان الجناحان قد التصقا بالمصباح، وانتشرت رائحة احتراق خفيفة.. أسرعت البنت فنزعت «رفرف» وقد احترق طَرَفَا جناحيها وهي تضطرب وتكاد تقع على الأرض.

قالت البنت:

– ألم أحذرك يا «رفرف»؟ هذه عاقبة طيشك وتهورك. انظري، لقد احترق جناحاكِ!

لم ترد «رفرف» فقد كانت لاتزال مسحورة بضياء المصباح، ولم تشعر بالألم إلا عندما مسحت البنت الصغيرة لها جناحيها ونزعت الأجزاء المحترقة منهما، ثم قالت لها:

لابد أن تستريحي الآن بعد أن أرشك بهذا الماء المُعَطَّر المعقم، وغداً سأخبر «دانا» فتأتي لزيارتك.

تنهدت «رفرف» بأسًى، وعندما نامت في زاوية النافذة أخذت تنظر إلى المصباح والبنت الصغيرة تطفئ نوره.

ولَفَّهَا الظلامُ فجأة، في حين سارت البنت الصغيرة بهدوء إلى فراشها.

رفرف تحبس فى قفص من زجاج

فرحت «دانا» كثيرا بلقاء «رفرف» وقد عرفتها فورا، وشكرت صديقتها على أنها أوصلتها إليها، لكنها عادت فحزنت عندما رأت الجناحين المحترقين، وسمعت قصتها مع المصباح.

قالت «دانا»:

لابد أن أعتنى بك حتى تشفى.. وبما أنك لا تستطيعين الطيران الآن، فما رأيك أن أضعك فى بيت زجاجى؟

قالت هذا وتقدمت نحو «رفرف» بوعاء زجاجى شفاف ونظيف فأدخلتها فيه، ثم طمأنتها بأنها ستضع لها فيه ما يلزمها من الطعام والشراب، وأن فى أعلاه ثقبا صغيرا تتنفس منه.

سكنت «رفرف» ولم تعد تحرك جناحيها، ولم تجد بدا من أن تستسلم لرأى صديقتها الوفية «دانا»، وتذكرت الحقول الخضراء، والهواء يلعب بأجنحتها وهى تطير، فتنهدت بحسرة، فقد ندمت، لأنها فرطت بأعز شىء لديها، وهو قدرتها على الطيران، ولكنها لم تستطع أن تقاوم ضوء المصباح، حتى أنها لم تستمع لتحذيرات البنت الصغيرة، واقتنعت بأن تدفع ثمن غلطتها.

سألت «رفرف» «دانا»:

– وهل تظنين أننى سأشفى بسرعة؟

ردت «دانا»:

– هذا يتوقف على عنايتك بنفسك والتزامك بالتعليمات الصحية.

قالت «رفرف»:

– وما هى هذه التعليمات؟

وقبل أن تجيبها «دانا» أسرعت إلى كتاب ملون من «عالم المعرفة» وقد

رُسمت على غلافه صور الفراشات والحشرات، فأخذت تقلب أوراقه بسرعة، ثم قرأت فيه قليلاً، وقالت لرفرف:

– حسناً.. انتبهى لهذه الملاحظات.

فأنصتت «رفرف» باهتمام و «دانا» تعيد عليها ما قرأت، ثم أغلقت الكتاب وقالت:

كما سمعت.. لن تنبت لك أجنحة جديدة، لكن أجنحتك إذا شُفيت ستقوى وتعودين قادرة على الطيران. ولاشك أن حَظَّكِ كبيرٌ لأنكِ نجوت، فما أكثر الفراش الذى تحترق أجنحته عندما يقترب من النور فيسقط ويموت.

تنهدت «رفرف» لأنها لا تريد أن تموت، فالحياة جميلة، وهى لاتزال بعد فتية، لم يمضِ من عمرها إلا أسبوع أو اثنان.

استقرت «رفرف» فى قفص الزجاج.. وبما أن الوقت ربيع فقد شعرت أول الأمر بالضيق، فالهواء هنا محبوس.. والمساحة ضيقة.. ولا أفق أمامها سوى هذه الجدران الشفافة، وكلما حاولت أن تحرك جناحيها ارتطمت بها. لكنها بعد مضى زمن أَلِفَتْ وجودها فى قفص الزجاج، لأنها اقتنعت أن على المريض أن يلتمس الراحة والهدوء حتى يشفى، وأخذت تتسلى بالنظر إلى ما حولها من الأشياء دون أن تحاول المشاركة.

دخل الصغير «شادى» شقيق «دانا» فرآها فى سجنها الزجاجى، فأخذ يسخر منها لأنها محبوسة هكذا، فهو لم يعرف قصتها، وأنها محترقة الجناحين. تألمت «رفرف» كثيراً، وفكرت فى أن تجازف بالخروج من قفصها لعلها تستطيع أن تطير، ويرى «شادى» أنها ليست عاجزة، لكنها تذكرت نصائح «دانا»، فقالت لشادى وهو يحرك عنها الغطاء:

– لن أخرج الآن فأنا أعرف مصلحتى جيداً، حتى لو هزئت منى.

قال «شادى» ضاحكاً:

– وهل مصلحتك أن تبقِي هكذا بدون حركة.. الفراش خُلِقَ ليطير، وأنتِ لَسْتِ فراشة حقيقية، وإلاّ لما رفضت الطيران.

ثم هز الوعاء بقوة فسقطت «رفرف» على الأرض وهى تتألم، وبينما هو يحاول أن يقبض عليها دخلت «دانا» فصرخت به:

ماذا تفعل يا «شادى؟».. أترك الفراشة.. اترك «رفرف».. إن جناحيها مصابان بحروق ويجب أن تبقى فى هذا القفص الزجاجى حتى تشفى.

ثم قصت عليه ما جرى مع «رفرف» فأسف لما بدر منه، واعتذر لها، فى حين عادت هى لتلتصق بالجدار الزجاجى وقد شعرت بقيمة الحرية.. وأنها تساوى كل شىء.

أثناء علاج «رفرف» كانت «دانا» قد اعتادت وجود فراشتها تحت الغطاء الزجاجى، فهى ترفعه لتنظفه، وتضع لها الطعام والشراب ثم تجلس لتتأمله مسرورة بتلك الفراشة الملونة التى خلف الزجاج اللامع الشفاف. وأصبحت تأتى برفيقاتها ليتعرفن إلى «رفرف» وهى تخفق بجناحيها، وكذلك فعل «شادى» فكان يأتى بالصغار من رفاقه، فيعجبون لمنظر الفراشة الجميل فى القفص الزجاجى.

وإذا حاول أحدهم أن يرفع الغطاء كان «شادى» يمنعه بقوله:

– إنها فراشة جناحاها محترقان ولا تستطيع الطيران.

وهكذا حتى كان صباح يوم منعش، عندما أفاقت «رفرف» وهى تشعر أنها فى أتم صحة وعافية، وأنها قادرة على أن تطير كما كانت فى السابق. رأت «دانا» تجمع أدواتها بسرعة لتذهب مع الرحلة، فحاولت أن تلفت نظرها بطيران متنقل سريع وراء الزجاج، لكن «دانا» لم تعرها أى اهتمام.

احتجت «رفرف» وقالت:

– لقد وعدتنى أن تطلقى سراحى عندما أشفى، وهأنذا قد شفيت.. ألم تلاحظى خفة جناحى وأنا أطير وراء الزجاج برغم صغر المسافة؟ هيا.. أخرجينى من هذا الزجاج وسترين صحتى ومدى قدرتى على الطيران.

قالت «دانا»:

– سأفعل ذلك عندما أعود من الرحلة.. إننى الآن متعجلة جدا.

قالت «رفرف» بحزن:

– وهل ستحرمينني من الحرية طوال هذا الوقت؟ إن حريتى ملكى، وأنا أطالب بها، وليس من حقكِ أن تمنعيها عنى حتى ولو كُنتِ السبب فى شفائى. إن الأصدقاء لا يفعلون ذلك.

لم تسمع «دانا» كل هذا الكلام، لأنها كانت قد غادرت غرفتها ظلت «رفرف» وراء الزجاج، وتأملت لذلك كثيراً، وحاولت أن تنزع عنها الغطاء، لكنه كان ثقيلاً جداً، ومن المستحيل على فراشة خفيفة الوزن مثلها أن تزحزح مثل هذا الغطاء.

فَهَمَدَتْ حزينةً وقد شعرت بالاختناق، وكأنها تحتضر.. دخل «شادى» الغرفة فلمحها تعلو وتهبط وراء الزجاج، فسألها:

– ما بكِ أيتها الفراشة؟ لِمَ ترفرفين هكذا كما لو أنك تريدين الخروج؟

قالت «رفرف»:

– حقاً إننى أريد الخروج، فَلَمْ يَعُدْ هناك سبب لبقائى هنا مسجونه، فأنا أصبحتُ قادرةً على الطيران بعد أن شفيت.

قال «شادى»:

وهل سمحت لكِ «دانا» بذلك؟

أطرقت «رفرف» قليلاً ثم قالت وهى لا تريد أن تُسىء إلى صديقتها الطيبة برغم كل شىء:

– «دانا» كانت على عَجَلةٍ من أمرها اليوم ولم تستمع إلى ما قلتُه لها، حتى أنها لم تلاحظنى وأنا أطير، وأعتقد أنه يسرها جداً أن ترانى طليقة.. ولَعَلِّى سألحق بها إلى البستان لو فتحتَ لى النافذة.

قال «شادى»:

– أفتح لكِ النافذة. لا.. أنتِ لَسْتِ فراشتى.. أنتِ فراشة دانا.

قالت «رفرف»:

– أنا لستُ مِلْكَ أحد أيها الولد الطيب.. ومكانى الحقيقى فى البستان.. وما وجودى معكم هنا إلا شىء مؤقت، ويجب أن أعود إلى مكانى مع سائر الفراشات فى البستان.

قال «شادى»:

ومن يضمن لى أن «دانا» لن تغضب منى؟

فكرت «رفرف» ثم قالت:

– أنا أضمن ذلك.. اسمع يا «شادى».. أنا فراشة جميلة لأننى حية ولستُ صورة. ولقد أحبتنى «دانا» لذلك، ولا يمكنها أن تحتفظ بى هكذا وكأننى ميتة هيا انزع الغطاء وسوف ترى كم سَتُسَرُّ أنت لرؤيتى وأنا أرفرف وأطير.. وما أظن إلا أن «دانا» ستسر أيضاً مثلك.

اقتنع «شادى» بما قالته «رفرف» وأصبح متشوقاً لأن يراها ترفرف وتطير. ولما حلقت بأجنحتها فى الغرفة كان يضحك مسروراً. اقتربت «رفرف» من النافذة ونظرت إلى أشعة الشمس مثل خيوط الذهب، ولما شعرت بدفئها قالت لشادى:

– هيا افتح لى النافذة يا «شادى».. ألسنا أصدقاء؟ هل تريد أن تحرمنى من حريتى فأموت؟ الحرية أثمن شىء فى الوجود، لعلك تعرف هذا لو حاول أحد أن يحتجزك أو يمنع عنك حريتك، وأنا لا أريد لك إلاَّ كل خير، وأحمل لك كثيراً من المحبة.

وتذكر «شادى» كيف أنَّهُ حُبسَ ذات مرةٍ فى الحَمَّام؟ وكم كان هذا مؤلماً! فتنهد بأسى، وقال:

– معكِ حق أيتها الفراشة..هيا اخرجى حُرَّةً طليقة.

قال هذا وهو يفتح النافذة، فى حين فتحت «رفرف» جناحيها للطيران، وما إن واجهت الهواء والفضاء العريض حتى انطلقت تعلو وتهبط مثل طائرة ورقية ملونة بديعة.

* * *

رفرف مع مجموعة الفراشات

«رفرف» تطير حرة طليقة وكأنها ترقص.. ما أبهى ضياء الشمس! وما أجمل الحقول الخضراء وألوان الزهر! كم الحياة جميلة! وهذا الهواء الربيعى الناعم كأنما يحمل جناحيها على أجنحته الخفية.

هكذا كانت «رفرف» تشعر، ولكنها عندما سألت نفسها: إلى أين هى ذاهبة؟.. شعرت بالأسَى، فهى لا تعرف أين تعيش مجموعتها من جنس الفراش.. وهى وحيدة بعد أن أمضت وقتاً طويلاً فى المغامرة والاكتشاف والاقتراب من حياة البشر.

حاولت أن تتذكر ما سمعته من «دانا عن أنواع الفراش وألوانه، وأين يعيش، وكيف يتوزع فى مجموعات.. أغمضت عينيها، وشحذت غريزة الاستدلال والتوجه، ثم شقت طريقها نحو حقل مملوء بالأزهار. وعن بعد لمحت أعداداً كثيرة من الفراش تحوم.. تحط ثم تطير وهى ترقص رقصة الربيع والحياة.

أسرعت نحوها وهى تخفق بأجنحتها حتى وجدت نفسها بين مجموعة فراشات صغيرة بيضاء.. نظرت إليهن بلطف ثم قالت:

– مرحباً أيتها الفراشات الجميلات.. هل تَسْمَحْنَ لى بمشاركتكن الرقص؟

قالت لها الفراشة الأولى:

– وهل هذا يحتاج إلى إذْنٍ؟ تستطيعين أن ترقصى كما تشائين.. ألَسْتِ فراشةً مثلنا؟

وسألتها الفراشة الثانية:

– كم عمرك أيتها الفراشة الملونة؟.. يبدو أنكِ أكبر منا سِناً. ألم تتعلمى بعد كيف تمضين أوقاتكِ؟

وحدقت بها الفراشة الثالثة، وقالت:

– يبدو أن جناحيك ممزقتان.. ماذا فعلتِ بنفسك؟ يبدو أنكِ غير قادرة على الرقص والدوران الآن.

أما الفراشة الرابعة وكانت أكثرهن عطفاً فقالت:

– مهما يكن فأنتِ فراشة مثلنا، وسوف نصحبك إلى تلك الشجرة المورقة لتتغذى على أوراقها الندية.

حَدَّثَتْ «رفرف» الفراشات البيضاء عن حياتها ومغامراتها، وكل ما جرى معها، فشعرن جميعاً أنها من أسرتهن، وعبرت عن ذلك الفراشة الرابعة العطوف فقالت:

– صحيح أنكِ فراشة ملونة ولست بيضاء، ولكننا نحن جنس واحد، وعلى المخلوق أن يتعاطف مع أبناء جنسه، لأنه لا يكون سعيداً بدونهم.

شعرت «رفرف» بنوع جديد من السعادة لم تشعر به من قبل، وعندما طارت الفراشات معاً لحقت «رفرف» بهن إلى الشجرة الوارفة المورقة. ولما كانت «رفرف» قد نسيت كيف تعتمد على نفسها في تحصيل طعامها وشرابها بعد أن اعتادت أن يُقدم لها الآخرون كل شيء، فقد أخذت تنظر إلى الفراشات وَهُنَّ مُنْهَمِكَاتٍ يَتَنَقَّلْنَ من ورقة إلى أخرى.

قالت الفراشة الرابعة العطوف:

– لماذا لا تأكلين يا أختي الفراشة؟ نحن نفعل ذلك.. وبسرعة.

خجلت «رفرف» وقالت:

– هذا جزاء من يعتمد على غيره، ولكني كنت مضطرة، لأن جناحيَّ احترقا، ومع هذا سأحاول.

قالت الفراشة الأولى ضاحكة:

– إياكِ أن تظني أننا سنقدم لك شيئاً.. إنما عليكِ أن تسعي بنفسك لرزقك قبل أن تهلكي من الجوع والعطش.

وأضافت فراشة أخرى:

– هذه عادات لا نعرفها نحن الفراشات، والبشر يختلفون عنا.

اعترضت الثالثة قائلة:

– نحن نفعل ذلك فى حالات خاصة عندما يكون أولادنا صغاراً..

قالت الرابعة:

– وليتنا نفعل هذا مع المرضى والعجائز.. هذا شىء جيد ونبيل.

وبينما هن مشغولات بالحديث كانت «رفرف» قد قضمت قطعة كبيرة مما وجدته على ورقة كبيرة، فضحكت الفراشات وهللن فرحاً، وقلن لها:

– ها قد عدت فراشة حقيقية.. وما عليكِ بعد الآن إلاَّ أن تتدبرى أمورك وحدك.

ثم افترقن عنها وقد أوشكت الشمس على المغيب لتبحث كل منهن عن مكان تأوى إليه.

رفرف فى مرسم الفنان

«رفرف» أصبحت تعتمد على نفسها فى كل شىء، وهى سعيدة بوجودها مع مجموعة الفراش، ولما كانت تتشوق لأن تكون أماً مثل كل الفراشات لترعى اليرقات الصغيرة التى تتحول بدورها إلى فراشات صغيرة، فقد جازفت وأخذت تبحث عن مكان أمين تضع فيه اليرقات الصغيرة فإذا بها تبتعد كثيراً عن أخواتها، وقالت فى نفسها:

لن أضل طريقى هذه المرة.. فأنا أصبحت أعرف الحقل تماماً.. ولابد لى أن أعيش تجربتى كفراشة أم، والحياة ليست بالطعام والشراب فقط.

ولكن «رفرف» المسكينة ضلت طريقها فى الحقل، لأنها صادفت مجموعة من الطيور كانت تسد عليها الأفق فخافت، وارتبكت، فإذا بها تضل طريقها.

ومن بعيد لمحت بيتاً جميلاً له نوافذ واسعة وكثيرة تطل على حديقة مزهرة، فاقتربت من النافذة المضيئة فرأت منظراً مدهشاً: فراشات ملونة كثيرة فوق مساحة بيضاء، ومنظر أشجار وأزهار وعشب، فتحيرت بماذا تفسر ذلك؟!. هل هو حقل حقيقى؟.. وهل هى فراشات طبيعية؟.. ولكن هل يمكن أن يوجد كل هذا داخل غرفة؟

اقتربت من النافذة المفتوحة فلم تجد إلا رجل يبدو عليه أنه رسام، فأخذ يصفق مُرَحِّباً بها، وقال لها:

– أهلاً وسهلاً بكِ أيتها الفراشة الجميلة فى مرسمى. هيا تَعالَىْ وقِفى إلى جانب مجموعة فراشاتى لأرسمك أنتِ أيضاً! ما أبهى ألوانك!!

اقتربت «رفرف» أكثر من المساحة البيضاء، ففهمت أنها من ورق، وأن الفراشات والأزهار والأشجار والعشب ليست إلا رسوماً.. قالت للفنان:

– لكننى مستعجلة أيها الإنسان الطيب، فأنا فى طريقى إلى الحقل، وأمامى مهمة كبيرة. وأننى لم أقف قرب نافذتك إلا بعد أن تعبت من البحث وتهت، فوقفت لأستريح فقط.

قال:

– إذنْ تستريحين عندى قليلاً فأرسمك، وسأدلك بعد ذلك على الحقل.

فكرت «رفرف» قبل أن توافق لتسأله:

– وما الفائدة التى ستعود عليك من هذه الرسوم؟

أجاب:

– أنا فنان.. أرسم الطبيعة بما فيها من مناظر ساحرة، وخاصة فى الربيع والفراشات تزين الحقول، ثم أوزع هذه الرسوم على الناس فَيُجمِّلُونَ بها بيوتهم وُغرف أولادهم.

قالت:

– حسناً.. ارسمنى إذنْ وَقدِّمْ رسمى هدية لأصدقائى الأطفال.. إن لى صديقة أحبها جداً اسمها «دانا».. هل تعرفها؟

قال الفنان:

– هناك بنات كثيرات اسمهن «دانا» فأى منهن هى صديقتك؟

ثم فكر قليلاً وقال:

– ما رأيك فى أن تكونى معى حين يأتون ليأخذوا الرسوم فتتعرفى إلى صديقتك، أو تأخذ على الأقل رسمك؟

قالت «رفرف»:

– وهل يحتمل هذا وقتاً طويلاً؟ أنا فى عجلة من أمرى كما قلت لك.

أجاب:

– كلا.. سأرسمك فوراً.. وبما أن موعدهم هو الغد فلن تضطرى للمبيت عندى أكثر من ليلة واحدة.. فما رأيك؟

قبلت رفرف وأمضت وقتاً ممتعاً جداً وهى تتفرج على رسوم الفنانَ فى كلِ أنحاء المرسم، ولما انتهى من رسمها على الورق كانت فخورة، لأن أناساً كثيرين سيرونها وسيتذكرها بعضهم حتى بعد أن تموت، كما قال لها الفنان.

ومع الفجر طارت رفرف من المرسم بعد أن دَلَّهَا الفنان على الحقل لتقوم بمهمتها فى البحث عن مكان أمين لوضع اليرقات الصغيرة. طارت وهى تتلفت وراءها حيث تركت رسمها لعلها ترى دانا فى طريقها إلى المرسم.

رفرف تختار مصيرها

وضعت «رفرف» اليرقات وأخذت ترعاها بكل محبة، ولما تحولت إلى فراشات ملونة جميلة كانت سعادتها كبيرة جداً. ها هى ذى قد أصبحت أماً.. وتركت للطبيعة سلالة من الفراشات مثلها قوية وفتية تحفظ نوعها، وهذه بدورها سترعى يرقاتها من جديد، وهكذا.

وما إن بدأت صغار الفراشات الطيران حتى أحست رفرف أن مهمتها انتهت، وظلت صورة الفراشات المرسومة على الورق، والأخرى المحنطة فى مجموعات، والمعلقة فى لوحات أنيقة جميلة تتوارد على خاطرها.

وقررت أن تسأل أحداً عن ذلك، ولم تجد أفضل من صديقتها «دانا».. فطارت بهمة ونشاط، وقطعت مسافات طويلة برغم أنها مُتْعَبَة، فهى لم تعد فتية كما كانت، وهكذا حتى وصلت إلى نافذة «دانا». رفرفت بجناحيها بقوة فارتطمت بالزجاج، وشعرت بألم، ولكنها الطريقة الوحيدة لتلفت نظر صديقتها. وبالفعل انتبهت «دانا» إليها، فشهقت من الفرح، وأسرعت تفتح لها النافذة، وترحب بها قائلة:

– ها قد أتيتِ أخيراً يا «رفرف» بعد أن يئستِ من لقائنا. كيف حالك؟.. أراكِ تضطربين كما لو أنك مريضة!

– لا.. لستُ مريضة، ولكننى أصبحتُ كبيرةً فى السن.. ألا تعرفين – أننا – نحن الفراشات – لا نعيش طويلاً؟

تنهدت «دانا» وهى تلامس جناحيها وقالت:

– هل أستطيع أن أساعدك بشىء؟

أطرقت «رفرف» وهى مسرورة، ثم سألتها عن الفراشات المحنطة أسئلة عديدة.

قالت «دانا»:

– الحقيقة أننى أعرف أنهم يحنطون الفراشات الجميلة النادرة، ويجعلونها

فى مجموعات تُثَبَّتُ على قطع من القماش أو الورق المقوى، ويحفظونها فى الزجاج. ولكن لماذا؟ لا أدرى.. ربما لمنظرها الجميل.

قالت «رفرف»:

– ليس هذا ما قصدته، وإنما أقصد: هل هناك فائدة منها؟

قالت «دانا»:

– طبعاً.. طبعاً.. انتظرى قليلا.

ثم أسرعت إلى كتاب ضخم فقلبته، وتوقفت عند صفحات فيها رسوم لفراشات محنطة، ثم قرأت لرفرف بصوت مرتفع:

– إن هذه المجموعات من الفراش المحنط تفيد الباحثين والدارسين، وطُلاَّبَ المعرفة لكى يحددوا أنواع الفراش وأشكاله، وأعماله، وأين يعيش؟ وكيف؟.. إنه عِلْمٌ من أنواع العلوم.. وكل علم مهم للبشرية.

أطرقت «رفرف» مفكرة، ثم قالت لدانا:

– الآن اخترتُ مصيرى أيتها الصديقة.. يجب أن أكون ذات فائدة.. وما عليكِ سوى أن تُساعدِينى فى الوصول إلى عالمٍ فى الحشرات.

قالت «دانا»:

– إنه أحد أقاربى، وهو أستاذ فى الجامعة.. لماذا؟ هل قررت أن تُصبحى فراشة محنطة؟

لم تعطها «رفرف» جواباً نهائياً، وإنما طارت وهى تردد:

– لقد اخترتُ مصيرِى.. لقد اخترتُ مصيرى.

بعد مدة طويلة طويلة.. قررت المعلمة أن تأخذ طالبات صفها إلى متحف التاريخ الطبيعى.. كانت الطالبات متحمسات جداً، وكانت «دانا» أكثرهن حماسة، فقد توقعت أن ترى «رفرف» ضمن مجموعات الفراشات المحنطة، لأن قريبها العالم تقدم بمجموعته إلى المتحف بعد أن فازت بالجائزة الأولى.

تذكرت «دانا» «رفرف»، وكل ما كان بينهما من صداقة هى أروع ما تكون بين الإنسان والكائنات الأخرى، خاصة إذا كان هذا الكائن أو المخلوق أليفاً لطيفاً لا يسبب الأذى.

ولما دخلت الطالبات إلى متحف التاريخ الطبيعى توجهت «دانا» فوراً إلى القسم الخاص بالفراشات المحنطة، وأخذت تقلب نظرها فيها وتبحث بينهما عن فراشة تشبه «رفرف».

تقدمت منها صديقتها «سلمى» وقالت لها:

– كيف ستعثرين عليها؟ إن الفراش يتشابه كثيراً.. وكل فراشة مثل الأخرى.. إلا إذا كانت فراشتك هذه قد سُميت باسمها، أو كتبوا فى تعريفها عن تاريخ حياتها.

ثم ضحكت وهى تبتعد.

وبالفعل، فإن «دانا» لم تكن تجد أى فارق بين فراشة وأخرى من مجموعة الفراش نفسها، حتى يئست. وظلت صورة «رفرف» تلاحقها كما لو أنها تطير حولها، أو ترافقها، فى جولتها فى المتحف.

استمعت الطالبات باهتمام إلى الشرح الذى كانت تلقيه عليهن المعلمة.. ثم تُرك لهن الوقت الكافى ليقرأنَ ما ثبت فى ذيل اللوحات والمجموعات.. وهكذا انتقلن فى أرجاء المتحف وبين أقسامه المختلفة حتى انتهى الوقت المخصص لذلك. وقبل أن يخرجن من المتحف فاجأتهن المعلمة بقولها: إن أحد العلماء المهتمين بتزويد هذا المتحف بالمواد الجيدة والنادرة يريد أن يتحدث إليهن.

وكانت مفاجأة خاصة لدانا عندما رأت العالم، فإذا به قريبها أستاذ الجامعة وعالم الحشرات. قال لهن: إنه بدأ بجمع الفراشات كهواية، لكنه فيما بعد أصبح عالماً يطبق أحدث الأساليب الكيماوية لتحنيط الفراشات وتثبيتها فى مجموعات دون أن تفقد أشكالها وألوانها، وحتى طريقة طيرانها.

وبما أنه كان مسروراً جداً من اهتمام الطالبات بزيارة المتحف وقسم الفراشات بالذات، فقد رأى أن يهدى إلى المتحف مجموعة عزيزة جداً عليه هى من مقتنياته الخاصة التى يحتفظ بها فى منزله.

ثم أخذ يُخرج من مِلَفٍّ زجاجى مجموعة بديعة من الفراشات المحنطة

تتوسطها فراشة كبيرة، وقد ثبَّتَ جَنَاحَيْهَا عاليين، كما لو أنها تطير.. وألوانها متعددة بديعة.

صرخت «دانا»:

هذه «رفرف».. فراشتى «رفرف».

ابتسم العالم وقال:

– صحيح.. إنها «رفرف» لكنها فراشتنا جميعاً.. لقد قدمت نفسها برضاً وسرور لتغدو محنطة، وعاشت عندى أياما عديدة لهذا الغرض، وهى تأكل وتشرب عارفة بمصيرها، مدركة ما تقدمه للبشر، ولهذا فقد وضعتها فى منتصف اللوحة وكتبت اسمها.

ثم التفت إلى «دانا» وقال:

ألم يكن اسمها «رفرف»؟ اقتربى.. وانظرى.

ونظرت «دانا» بدهشة إلى قطعة الورق المقوى المثبتة بين جناحى الفراشة، فقرأت مايلى:

«رفرف الفراشة الجميلة التى كان لموتها مَغْزىً، كما كان لحياتها هدف.

انظر إلى الرقم واقرأ عن فصيلة «رفرف» فى معجم كذا.. صفحة كذا.. لمزيد من التفاصيل عن أسرتها من الفراش..».

أحست دانا بالفخر، لأنها ساعدت رفرف على أن يكون لموتها هدف وأسرعت إلى المعجم لتقرأ عن عائلة رفرف بين الفراش

* * *

فهرس

الفراشة رفرف ٣

رفرف تكتشف جمالها ٧

رفرف تغار من الصورة الملونة ١٠

رفرف تحرق جناحيها ١٣

رفرف تحبس فى قفص من زجاج ١٦

رفرف تعيش مع مجموعة الفراش..... ٢٢

رفرف فى مرسم الفنان ٢٦

رفرف تختار مصيرها ٢٩

obeikandl.com

رقم الإيداع	٢٠٠٣/١١٧٣٩
الترقيم الدولى	ISBN 977-02-6468-7

٧/٢٠٠٣/٣٤

طبع بمطابع دار المعارف (ج . م . ع .)

obeikandl.com

مكتبتى

تضم باقة متنوعة من القصص الخيالية المشوقة والهادفة لتؤصل المبادئ والقيم في نفوس الصغار، كي يشبوا مواطنين أصحاء . وقد كُتبت القصص بلغة سهلة، وأسلوب واضح يحقق المطلوب بين الكاتب والقارئ الصغير، ويغرس في قلبه عشق القراءة والمكتبة .

صدر منها :

١ - النملة تنال الجائزة .
٢ - الأرانب الثلاثة .
٣ - رحلات وليد وقلمه العجيب .
٤ - الأسد هُس والفيل بُص .
٥ - البحث عن القمر .
٦ - الفراشة رفرف .
٧ - رسالة من كوكب الأقزام .
٨ - أنت كم تساوى ؟
٩ - المباراة المثيرة .
١٠ - الغراب التائه .
١١ - عيون الدنيا .
١٢ - هجرة عروس البحر .
١٣ - الخطوة الأولى .
١٤ - جدى يفتح صندوقه .
١٥ - سجين الكوخ .
١٦ - المقعد المتحرك .
١٧ - متى تغضب يا نيل ؟!
١٨ - الغزالة ريم .
١٩ - الضفدع روغ .
٢٠ - مغامرات الكلب فوفو .
٢١ - السمكة سيرا .
٢٢ - الملك لك .
٢٣ - العصا غلبت المدفع .
٢٤ - رحلة الخلود .
٢٥ - حكايات الجد عمران .
٢٦ - فارس بمائة فارس .
٢٧ - الحصان صديقى .
٢٨ - شبيك لبيك .
٢٩ - كوكب الأرض السجين .
٣٠ - وفى يده حجر .
٣١ - حكاية رجل عظيم .
٣٢ - الجزء والكل يصنعان الحياة .
٣٣ - سيناء تغنى .
٣٤ - شجرة تنمو فى قارب .
٣٥ - لا تلقنى فى النهر .
٣٦ - سارق الأيام .
٣٧ - شعاع من نور .
٣٨ - النجم الهارب إلى السماء .
٣٩ - أحلام خضراء .
٤٠ - من وحى الأنبياء .
٤١ - صندوق نعمة ربنا .
٤٢ - أنت ومالك لأبيك .
٤٣ - بريق الذهب .
٤٤ - حكاية طارق وعلاء .
٤٥ - لسانك يا عصفور .
٤٦ - كذب المنجمون .
٤٧ - أحسن شىء أنى حرة .
٤٨ - نبع الحنان .
٤٩ - شمس البهلوان .
٥٠ - الحمار مطربا .

٢٢١٨٥٤/٠١

دار المعارف

obeikandl.com